المحاضرة الخامسة: الحدث التاريخي والمجال الجغرافي- أشكال التفاعل-

1)**الأساس الجغرافي للتاريخ**: يشير هيجل إلى أهمية الموقع الجغرافي بالنسبة للتاريخ، والأثر الذي تتركه الطبيعة على إنتاج روح شعب ما وهو ينبهنا إلى أننا ألا نبالغ في تقدير هذا الأثر ولا نغفله كل الإغفال.

2)الرؤية الهيغلية: للعامل الجغرافي دور في التاريخ حيث يعتبر عامل ربط وتقريب وتوحيد بين الأمم والشعوب والبلدان والدول يحضر فعلها الإيجابي الأثر أو السلبي بشكل مباشر أو غير مباشر في حياة الجماعة البشرية وفي كيفيات وأحوال اجتماعها وقيامها وفي ذلك يقول:" أن الأنهار والبحار لا ينبغي أن لا ينظر إليها على أنها أداة فصل وتفرقة؛ وإنما أداة ربط وتوحيد لقد اتحدت انكلترا وبريتاني والنرويج والدانمارك والسويد وليفونيا وبالمثل فإن البحر الأبيض المتوسط كان عنصر ربط دائم ومركزا لتاريخ العالم بالنسبة إلى ثلاثة أرباع الكرة الأرضية تربط القارات الثلاثة التي يتوسطها فيما بينها بعلاقة جوهرية يشكل شمولها كليا واحد، والسمة المميزة لهذه القارات هي أنها تقع حول هذا البحر ومن ثم فلديه وسيلة اتصال سهلة".

3) علاقة التاريخ بالجغرافيا:

هناك علاقة وطيدة بين التاريخ والجغرافيا وتكمن هذه العلاقة في أهمية دراسة الجغرافيا بالنسبة للمؤرخ وذلك لأن الجغرافيا كما يقول جمال حميدان؛ الجغرافيا قد تكون صماء ولكن ما أكثر ما كان التاريخ لسانها فالتاريخ ظل الأنسان على الأرض كما أن الجغرافيا ظل الأرض على الزمان فالتاريخ ماهو إلا جغرافية متحركة بينما الجغرافيا تاريخ توقف، فلا يتصور فهم الأنسان بدون دراسة البيئة الجغرافية التي نشأ وتربى فيها .

إذن هناك علاقة وطيدة بين التاريخ والجغرافيا فالأرض هي المسرح الذي وقعت عليه الأحداث التاريخية فبدون الأرض لايمكن أن تقع الحادثة التاريخية.

4)المجال الفيزيائي وعلاقته بالمجال السياسي في المغرب الإسلامي:

عرفت القرون الوسطى تشكل أربع دول في المغرب العربي تحكمت في المغرب العربي في المغرب الأوسط: الدولة الرستمية في القرنين الثامن والتاسع التي بناها الخوارج الذين انتقلوا إلى واد ميزب، المملكة الزيرية التي أسست في القرن العاشر حول مدينة الأشير؛ المملكة الحمادية عاصمتها القلعة ثم بجاية، وأخيرا مملكة بني عبد الواد بين القرنين الثالث عشر والرابع عشر في تلمسان بالغرب الجزائري ، كل هذه الدول كانت تتربع على جزء من التل وآخر من الهضاب العليا مع عاصمة بينهما للربط في وضعية آشير.

السؤال الذي يتبادر إلى أذهاننا لربط بين الحدث التاريخي وتفسيره بالمجال الجغرافي هو كيف اختارت هذه الدول صعوبات السهوب على إمكانيات سهول متيجة؟

هناك عنصران يمكنهما تفسير هذا الاختيار:

- **التفسير الأول:** يعود إلى العلاقة بين الأنسان والطبيعة لأن المرحلة التي كانت فيها الوسائل التقنية بدائية أوجد الإنسان ظروفا مناسبة للحرث وميدانا واسعا للتنقل.

ـ **التفسير الثاني:** يتمثل في كتلة الجبال الغابية والسهول الرطبة بالشمال كانت أقل جذبا وصعوبة للتطويع استوطن السكان بأعداد قليلة السهول السهبية(جبال الحضنة، الأوراس، الهضاب العليا الشرقية) حيث كانوا ملاكا فلاحين.

ـ**التفسير الثالث:** وضعية العواصم في الوسط المشجعة على التبادلات فهي تمكن من المبادلات بين التل والصحراء وتسمح بتنقلات الصحراويين للتجارة لأن تاريخ هذه الممالك لا يمكن فصله عن هذه الأخيرة. وبالفعل بداية من القرن الثامن انتقلت طرق الذهب التي تمول الشرق الأوسط من حوض النيل انطلاقا من السودان إلى الصحراء الوسطى والغربية عبر جسر جبال الهقار أدى إلى تكوين علاقات بين المغرب الأوسط و والسودان والسودان الغربي وصلت إلى سجلماسة ثم ورقلة كما جذبت مملكات تيهرت والأشير والقلعة هذه القوافل نحوها مما أغنى تجارها وأدى إلى ازدهار مدنها وتحكم العواصم الواقعة في مخارج السهول في التجارة العابرة للصحراء.

لقد جرى تغير عميق في الألفية الثانية؛ حيث انتقل مركز الثقل من الهضاب العليا إلى منطقة التل لأن سكان الجبال بالأوراس والأطلس الصحراوي أصابهم الواهن وسكان الحضر الذين كانوا من الحضر في السابق؛ انتقلوا إلى الحياة الرعوية الفلاحية مما قلل من وزنهم واستبدلت الجبال السابقة بجبال التل(القبائل الكبرى، القبائل الصغرى) التي أصبحت ملجأ للسكان الحضر في بداية القرن العاشر حينما هدد حياتهم تحول السهول إلى مراعي فقد شهدت هذه الفترة توافد كثيف على سفوح جبال التل التى لا توجد فيها أراضي قابلة للزراعة مما سيعطي الأصل الجبلي للسكان وتدخلات التعديلات التي جرت في التبادلات الاقتصادية.

وقد كان تحويل العاصمة من بجاية إلى الجزائر في القرن الثاني عشر عملا عرضيا بل كان حدثا مهما يؤرخ لظهور التجارة الكبرى الأوروبية في الساحة المغاربية أهمها تدفقات تجار جنوة الذين يحولون السلع للغرب المسيحي.